ثلاثون

تَرويحة وتَرويحة

الشيخ حسن عبد العال محمود

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثلاثون ترويحة

وترويحة

إعداد الشيخ

حسن عبدالعال محمود

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثلاثون ترويحة

وترويحة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه الغر الميامين

وبعد

كلما هل علينا شهر رمضان المبارك استعد المسلمون له، وهيؤوا أنفسهم للصلاة والصيام والقيام وتلاوة القرآن، وسماع دروس العلم، وتهيأ أيضا الأئمة والعلماء والخطباء لإثراء هذا الشهر الكريم بالدروس والخواطر، فأردت أن أجمع بعضا من تلك الدروس التي تساعد الأئمة والخطباء خاصة وأن هناك سنة حسنة في كثير من بلداننا الإسلامية أن يكون هناك خاطرة أو درس بين صلاة التراويح فجمعت تلك المجموعة في كتاب وسميته:

(ثلاثون ترويحة وترويحة)

فأسأل الله عز وجل أن أكون وفقت في هذا العمل وأن يكون عونا ومساعدا لزملائي الكرام في ميدان الدعوة إلى الله سبحانه إنه ولي ذلك والقادر عليه

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الشيخ / حسن عبدالعال محمود

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(1)

المسلمون وبيوت الله

روى أبو داود عن أبي أمامة أن رسول الله صلى عليه وسلم قال: "من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحا لا ينصبه إلا إياه فأجره المعتمر وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهماكتاب في عليين ".

وخرج عن بريدة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" بشر المشاءين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة ". رواه الترمذى وابن ماجة وصححه الألبانى

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح ".

وخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة".

وعنه قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة فلم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه ". (في رواية): ما يحدث؟ قال:) يفسو أو يضرط.

وقال حكيم بن زريق: قيل لسعيد بن المسيب أحضور الجنازة أحب إليك أم الجلوس في المسجد؟ فقال: من صلى على جنازة فله قيراط، ومن شهد دفنها فله قيراطان، والجلوس في المسجد أحب إلى، لان الملائكة تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب عليه.

وروي عن الحكم بن عمير صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"كونوا في الدنيا أضيافا واتخذوا المساجد بيوتا وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا التفكر والبكاء ولا تختلف بكم الأهواء. تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون "

رواه البيهقى فى شعب الإيمان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال أبو الدرداء لابنه: ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إن المساجد بيوت المتقين ومن كانت المساجد بيته ضمن الله تعالى له الروح والراحة والجواز على الصراط). رواه الطبراني

وكتب أبو صادق الأزدي إلى شعيب بن الحبحاب: أن عليك بالمساجد فالزمها، فإنه بلغني أنها كانت مجالس الأنبياء. وقال أبو إدريس الخولاني: المساجد مجالس الكرام من الناس. وقال مالك بن دينار: بلغني أن الله تبارك وتعالى يقول: (إني أهم بعذاب عبادي فأنظر إلى عمار المساجد وجلساء القرآن وولدان الإسلام فيسكن غضبي).

وقال ابن المسيب: من جلس في مسجد فإنما يجالس ربه، فما حقه أن يقول إلا خيرا. وقد جمع بعض العلماء في ذلك خمس عشرة خصلة، فقال: من حرمة المسجد أن يسلم وقت الدخول إن كان القوم جلوسا، وإن لم يكن في المسجد أحد قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وأن يركع ركعتين قبل أن يجلس، وألا يشتري فيه ولا يبيع، ولا يسل فيه سهما ولا سيفا، ولا يطلب فيه ضالة، ولا يرفع فيه صوتا بغير ذكر الله تعالى، ولا يتكلم فيه بأحاديث الدنيا، ولا يتخطى رقاب الناس، ولا ينازع في المكان، ولا يضيق على أحد في الصف، ولا يمر بين يدي مصل، ولا يبصق، ولا يتنخم، ولا يتمخط فيه، ولا يفرقع أصابعه، ولا يعبث بشيء من جسده، وأن ينزه عن النجاسات والصبيان والمجانين، وإقامة الحدود، وأن يكثر ذكر الله تعالى ولا يغفل عنه. فإذا فعل هذه الخصال فقد أدى حق المسجد، وكان المسجد حرزا له وحصنا من الشيطان الرجيم.

وفي البخاري عن أبي موسى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من مر في شي من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها لا يعقر بكفه مسلما).

وخرج مسلم عن أنس قال قال وسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها). وعن أبي ذر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (عرضت على أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن ".

** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(2)

هكذا ينبغي ان تكون الصلاة

العبادات والقربات تتفاضل عند الله بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة والخشية والخشوع والإنابة. والعابد حقاً والمتقرب لربه صدقاً، هو الذي تحقق في قلبه صدق الامتثال للأوامر على وجهها، وابتعد عن المخالفات بجميع وجوهها، يجمع بين الإخلاص والحب والخوف وحسن الطاعة.

ومن أجل تبين هذا التفاضل وإدراك هذا التمايز، هذه وقفة مع أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين؛ مع الصلاة عماد الدين.

فالصلاة لابد أن تشغل كل بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة. لا سيما وإن أشعر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله، وهذا أبلغ في المقصود وأتم في المراد، فإن الموت ليس له سن محدود، ولا زمن مخصوص، ولا مرض معلوم، وهذا مما لا خلاف فيه.

وروي عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة أرتعد وأصفر لونه، فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك.فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر، ومن كانت صلاته دائرة حول الإجزاء، لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضائل، كصلاتنا – وليتها تجزي – فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان، فإن كان على طريقة معاص تبعده من الله تعالى تركته الصلاة يتمادى على بعده.

وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والأعمش قولهم:" من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا"رواه الطبراني

قال ابن عطية سمعت أبي رضي الله عنه يقول: فإذا قررنا ونظر معناه فغير جائز أن يقول إن نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى كأنها معصية، وإنما يتخرج ذلك على أنها لا تؤثر في تقريبه من الله، بل تتركه على حاله ومعاصيه، من الفحشاء والمنكر والبعد، فلم تزده الصلاة إلا تقرير ذلك البعد الذي كان سبيله، فكأنها بعدته حين لم تكف بعده عن الله. وقيل لابن مسعود: إن فلانا كثير الصلاة فقال: إنها لا تنفع إلا من أطاعها.

فالمعنى المقصود بالحديث:" لم تزده من الله إلا بعدا ولم يزدد بها من الله إلا مقتا" إشارة إلى أن مرتكب الفحشاء والمنكر لا قدر لصلاته، لغلبة المعاصي على صاحبها. وقيل: هو خبر بمعنى الأمر. أي لينته المصلى عن الفحشاء والمنكر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصلاة بنفسها لا تنهى، ولكنها سبب الانتهاء. وهو كقوله تعالى:" هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ" وقوله:" أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِما كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ".

إذا لا بد أن تتحلى صلاتنا بالخشوع والإنابة والخشوع تتفاوت فيه القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له، وبحسب مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع. وبمقدار هذا التفاوت يكون تفاضل الناس، في القبول والثواب، وفي رفع الدرجات، وحط السيئات. عن عبد الله الصنابحي – رضي الله عنه – قال: أشهد أني سمعت رسول الله يقول: ((خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن، وصلاهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وخشوعهن؛ كان له على الله عهدٌ أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد؛ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

وهناك نوع من الخشوع حذر منه السلف، وأنذروا وسموه: خشوع النفاق. فقالوا: استعيذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا: وما خشوع النفاق؟ قالوا: أن ترى الجسد خاشعاً، والقلب ليس بخاشع. ولقد نظر عمر رضي الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له: يا هذا، ارفع رأسك، فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب، فمن أظهر خشوعاً على ما في قلبه فإنما هو نفاق على نفاق.

وقال الحسن: إن أقواماً جعلوا التواضع في لباسهم، والكبر في قلوبهم، ولبسوا مداعج الصوف . أي: الصوف الأسود . واللهِ لأَحدُهم أشدُّ كبراً بمدرعته من صاحب السرير بسريره، وصاحب الديباج في ديباجه.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(3)

من فقه الدعاء

أوحى الله تعالى إلى داود: أن قل للظلمة من عبادي لا يدعوني فإني أوجبت على نفسي أن أجيب من دعاني وإني إذا أجبت الظلمة لعنتهم.

وقال قوم: إن الله يجيب كل الدعاء، فإما أن تظهر الإجابة في الدنيا، وإما أن يكفر عنه، وإما أن يدخر له في الآخرة، لما رواه أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخر له وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها، قالوا: إذن نكثر؟ قال:" الله أكثر". رواه الطبراني

وقال ابن عباس: كل عبد دعا أستجيب له، فإن كان الذي يدعو به رزقا له في الدنيا أعطيه، وإن لم يكن رزقا له في الدنيا ذخر له. قلت: وحديث أبي سعيد الخدري وإن كان إذنا بالإجابة في إحدى ثلاث فقد دلك على صحة ما تقدم من اجتناب الاعتداء المانع من الإجابة حيث قال فيه: (ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) وزاد مسلم: (ما لم يستعجل). رواه عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل- قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال- يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء".

ويمنع من إجابة الدعاء أيضا أكل الحرام وما كان في معناه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأني يستجاب لذلك" رواه مسلم

وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء من هذه صفته، فإن إجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشيء المدعو به. فمن شرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنبا لأكل الحرام، وألا يمل من الدعاء. ومن شرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا، كما قال: "ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم.

وقال سهل بن عبد الله التستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم واكل الحلال. وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: شرائطه أربع- أولها حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر إلى ما لا يحل، وحفظ البطن من الحرام. وقد قيل: إن من شرط الدعاء أن يكون سليما من اللحن، كما أنشد بعضهم:

ينادي ربه باللحن ليث = كذاك إذا دعاه لا يجيب

وقيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

قال علي رضي الله عنه لنوف البكالي: يا نوف، إن الله أوحى إلى داود أن مر بني إسرائيل ألا يدخلوا بيتا من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية، فإني لا أستجيب لاحد منهم، ما دام لأحد من خلقي مظلمة. يا نوف، لا تكونن شاعرا ولا عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا عشارا (هو: العريف: الذي يلي أمور طائفة من الناس ويتعرف أمورهم ويبلغها للأمير.) فإن داود قام في ساعة من الليل فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا استجيب له فيها، إلا أن يكون عريفا أو شرطيا أو جابيا أو عشارا، أو صاحب عرطبة، وهي الطنبور، أو صاحب كوبة، وهي الطبل.

قال علماؤنا: ولا يقل الداعي: اللهم أعطني إن شئت، اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، بل يعري سؤاله ودعاءه من لفظ المشيئة، ويسأل سؤال من يعلم أنه لا يفعل إلا أن يشاء. وأيضا فإن في قوله:" إن شئت" نوع من الاستغناء عن مغفرته وعطائه ورحمته، كقول القائل: إن شئت أن تعطيني كذا فافعل، لا يستعمل هذا إلا مع الغني عنه، وأما المضطر إليه فإنه يعزم في مسألته ويسأل سؤال فقير مضطر إلى ما سأله. روى الأئمة واللفظ للبخاري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له".

وقال جابر بن عبد الله: دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين. فعرفت السرور في وجهه. قال جابر: ما نزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(4)

ليكن مفزعك إلى الله تعالى يكفيك

قال ابن عبد البر: من أحسن ما روى من أجوبة الفقهاء في معاني السؤال وكراهيته ومذهب أهل الورع فيه ما حكاه الأثرم عن أحمد بن حنبل وقد سئل عن المسألة متى تحل قال: إذا لم يكن عنده ما يغذيه ويعشيه على حديث سهل بن الحنظلية. قيل لأبي عبد الله: فإن اضطر إلى المسألة؟ قال: هي مباحة له إذا اضطر. قيل له: فإن تعفف؟ قال: ذلك خير له. ثم قال: ما أظن أحدا يموت من الجوع! الله يأتيه برزقه. ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري" أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ أَهْلُهُ: ائْتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْأَلْهُ فَأَتَاهُ وَهُوَ يَخْطُبُ، وَهُوَ يَقُولُ: " مَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللهُ، وَمَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللهُ، وَمَنْ سَأَلَنَا فَوَجَدْنَا لَهُ أَعْطَيْنَاهُ " قَالَ: فَذَهَبَ وَلَمْ يَسْأَلْ " رواه أحمد

وحديث أبي ذر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له:" تعفف". قال أبو بكر: وسمعته يسأل عن الرجل لا يجد شيئا أيسأل الناس أم يأكل الميتة؟ فقال: أيأكل الميتة وهو يجد من يسأله، هذا شنيع. قال: وسمعته يسأله هل يسأل الرجل لغيره؟ قال لا، ولكن يعرض، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين جاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار(وهي كل شملة مخططة من مآزر اللأعراب) فقال:" تصدقوا" ولم يقل أعطوهم. قال أبو عمر: قد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" اشفعوا تؤجروا". وفية إطلاق السؤال لغيره. وقال: "ألا رجل يتصدق على هذا"؟ قال أبو بكر: قل له – يعني أحمد بن حنبل– فالرجل يذكر الرجل فيقول: إنه محتاج؟ فقال: هذا تعريض وليس به بأس، إنما المسألة أن يقول أعطه. ثم قال: لا يعجبني أن يسأل المرء لنفسه فكيف لغيره؟ والتعريض هنا أحب إلى.

وقد روى أبو داود والنسائي وغيرهما أن الفراسي قال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أسأل يا رسول الله؟ قال:" لا وإن كنت سائلا لأبد فاسأل الصالحين".رواه النسائى وضعفه الألباني

فأباح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤال أهل الفضل والصلاح عند الحاجة إلى ذلك، وإن أوقع حاجته بالله فهو أعلى.

قال إبراهيم بن أدهم: سؤال الحاجات من الناس هي الحجاب بينك وبين الله تعالى، فأنزل حاجتك بمن يملك الضر والنفع، وليكن مفزعك إلى الله تعالى يكفيك الله ما سواه وتعيش مسرورا.

روى مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطاء فرده، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لم رددته"؟ فقال: يا رسول الله، أليس أخبرتنا أن أحدنا خير له ألا يأخذ شيئا؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إنما ذاك عن المسألة فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق رزقكه الله". فقال عمر بن الخطاب: والذي نفسي بيده لا أسأل أحدا شيئا ولا يأتيني بشيء من غير مسألة إلا أخذته. وهذا نص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وخرج مسلم في صحيحه عن ابن عمر قال سمعت عمر يقول: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقر إليه مني، حتى أعطاني مرة مالا فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" خذه وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك". زاد النسائي- بعد قوله" خذه- فتموله أو تصدق به".

وروى مسلم من حديث عبد الله ابن السعدي المالكي عن عمر فقال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إذا أعطيت شيئا من غير أن تسأل فكل وتصدق".

قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يسأل عن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" ما أتاك من غير مسألة ولا إشراف" أي الإشراف أراد؟ فقال: أن تستشرفه وتقول: لعله يبعث إلى بقلبك. قيل له: وإن لم يتعرض، قال نعم إنما هو بالقلب. قيل له: هذا شديد! قال: وإن كان شديدا فهو هكذا. قيل له: فإن كان الرجل لم يعودني أن يرسل إلى شيئا إلا أنه قد عرض بقلبي فقلت: عسى أن يبعث إلى. قال: هذا إشراف، فأما إذا جاءك من غير أن تحتسبه ولا خطر على قلبك فهذا الآن ليس فيه إشراف.

** ** **

(5)

حولها ندندن

قال أحد الصحابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنا إنما أقول في دعائي: اللهم أدخلني الجنة وعافني من النار، ولا أدرى ما دندنتك (الدندنة: أن يتكلم الرجل الكلام تسمع نغمته ولا يفهم، وهو أرفع من الهينمة قليلا.) ولا دندنة معاذ. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" حولها ندندن" خرجه أبو داود في سننه وابن ماجة أيضا.

قيل لأنس: ادع الله لنا، فقال: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. قالوا: زدنا. قال: ما تريدون! قد سألت الدنيا والآخرة!.

وفي الصحيحين عن أنس قال: كان أكثر دعوة يدعو بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (اللهم آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ). قال: فكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه. وفي حديث عمر أنه كان يطوف بالبيت وهو يقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. ماله هجيرى (الهجير والهجيرى: الدأب والعادة والديدن) غيرها، ذكره أبو عبيد. وقال ابن جريج: بلغني أنه كان يأمر أن يكون أكثر دعاء المسلم في الموقف هذه الآية:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

" رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ". وقال ابن عباس: إن عند الركن ملكا قائما منذ خلق الله السموات والأرض يقول آمين، فقولوا:" رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا عَذابَ النَّارِ" وسئل عطاء بن أبي رباح عن الركن اليماني وهو يطوف بالبيت، فقال عطاء: حدثني أبو هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (وكل به سبعون ملكا فمن قال اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين) الحديث. خرجه ابن ماجة في السنن

** ** **

(6)

ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله عنهما قالت: كان أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قيل لها: فان أناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقال سعيد بن عبد الرحمن الجمحي: مر ابن عمر برجل من أهل القرآن ساقطا فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط. فقال ابن عمر: إنا لنخشى الله وما نسقط. ثم قال: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه سلم.

وقال عمر بن عبد العزيز: ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه، ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فإن رمى بنفسه فهو صادق.

وقال أبو عمران الجوني: وعظ موسى عليه السلام بني إسرائيل ذات يوم فشق رجل قميصه، فأوحى الله إلى موسى، قل لصاحب القميص لا يشق قميصه فإني لا أحب المبذرين، يشرح لي عن قلبه.

قال زيد بن أسلم: ذرأ أبي بن كعب عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه أصحابه فرقوا فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمة".

وعن العباس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" إذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها". وعن ابن عباس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" ما اقشعر جلد عبد من خشية الله إلا حرمه الله على النار".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن شهر بن حوشب عن أم الدرداء قالت: إنما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة، أما تجد إلا قشعريرة؟ قلت: بلى، قالت: فادع الله فإن الدعاء عند ذلك مستجاب. وعن ثابت البناني قال: قال فلان: إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عيناي، فذلك حين يستجاب لي.

وقيل: إن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة، فكانوا إذا رأوا عجز هم عن معارضته، اقشعرت الجلود منه إعظاما له، وتعجبا من حسن

ترصيعه وتهيبا لما فيه، وهو كقوله تعالى:" لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" الحشر/21. فالتصدع قريب من الاقشعرار، والخشوع قريب من قوله:" ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ" ومعنى لين القلب رقته وطمأنينته وسكونه."

** ** **

(7)

معى واحد أم سبعة أمعاء

روى مسلم عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معى واحد". وهذا منه صلى الله عليه وسلم حض على التقليل من الدنيا والزهد فيها والقناعة بالبلغة. وقد كانت العرب تمتدح بقلة الأكل وتذم بكثرته. كما قال قائلهم:

تكفيه فلذة كبد إن ألم بها = من الشواء ويروي شربه الغمر

وقالت أم زرع في ابن أبي زرع: ويشبعه ذراع الجفرة (الجفرة: الصغيرة من ولد المعزى إذا بلغ أربعة أشهر.). وقال حاتم الطائي يذم بكثرة الأكل:

فإنك إن أعطيت بطنك سؤله = وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال الخطاب: معنى قوله (صلى اللَّه عليه وسلم: "المؤمن يأكل في معى واحد أنه يتناول دون شبعه، ويؤثر على نفسه ويبقي من زاده لغيره، فيقنعه ما أكل.. وقيل في قوله عليه السلام:"والكافر يأكل في سبعة أمعاء" ليس على عمومه، لأن المشاهدة تدفعه، فإنه قد يوجد كافر أقل أكلا من مؤمن، ويسلم الكافر فلا يقل أكله ولا يزيد. وقيل: هو إشارة إلى معين. ضاف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضيف كافر يقال: إنه الجهجاه الغفاري. وقيل: ثمامة بن أثال. وقيل:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نضلة بن عمرو الغفاري. وقيل: بصرة بن أبي بصرة الغفاري. فشرب حلاب سبع شياه، ثم إنه أصبح فأسلم فشرب حلاب شاة فلم يستتمه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك. فكأنه قال: هذا الكافر.

وقيل: إن القلب لما تنور بنور التوحيد نظر إلى الطعام بعين التقوى على الطاعة، فأخذ منه قدر الحاجة، وحين كان مظلما بالكفر كان أكله كالبهيمة ترتع حتى تثلط (الثلط: الرقيق من الروث).

واختلف في هذه الأمعاء، هل هي حقيقة أم لا؟ فقيل حقيقة، ولها أسماء معروفة عند أهل العلم بالطب والتشريح. وقيل: هي كنايات عن أسباب سبعة يأكل بها النهم: يأكل للحاجة والخبر والسمع والشم والنظر واللمس والذوق ويزيد استغناما.

وقيل: المعنى أن يأكل أكل من له سبعة أمعاء. والمؤمن بخفة أكله يأكل أكل من ليس له إلا معى واحد، فيشارك الكافر بجزء من أجزاء أكله، ويزيد الكافر عليه بسبعة أمثال. والمعى في هذا الحديث هو المعدة.

** ** **

(8)

علاج القلوب

قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، وموتم البنين والبنات، ويواظب على مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين.

فهذه ثلاثة أمور، ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه، فإن أنتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه ران قلبه، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فإن مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول، لان ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير.

وفي مشاهدة من احتضر، وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة، فلذلك كان أبلغ من الأول، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليس الخبر كالمعاينة) رواه احمد.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأما الاعتبار بحال المحتضرين، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات. وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر. فينبغي لمن عزم على الزيارة، أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حاله تشاركه فيها بهيمة. ونعوذ بالله من ذلك.

بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء، ويتجنب المشي على المقابر، والجلوس عليها ويسلم إذا دخل المقابر وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضا، وأتاه من تلقاء وجهه، لأنه في زيارته كمخاطبته حيا، ولو خاطبه حيا لكان الأدب استقباله بوجهه، فكذلك ها هنا. ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه.

فليتأمل الزائر حال من مضي من إخوانه، ودرج منأقرانه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل من بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم. وليتذكر ترددهم»

في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب. وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع، كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من كان مترددا في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه. وكان يتلذذ بالنظر إلى ما خوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، وماله كماله. وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه.

** ** **

(9)

قدم لنفسك خيرا

قال تعالى:"وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " البقرة /110 جاء في الحديث (أن العبد إذا مات قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم). وخرج النسائي عن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله". قالوا: يا رسول الله، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"ليس منكم من أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله. مالك ما قدمت ومال وارثك ما أخرت"

ولفظ البخاري: قال عبد الله قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الله عليه وسلم: (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله) قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: (فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر). وجاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مر ببقيع الغرقد (بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.) فقال: السلام عليكم أهل القبور، أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن، ودوركم قد سكنت، وأموالكم قد قسمت. فأجابه هاتف: يا ابن الخطاب أخبار ما عندنا أن ما قدمناه وجدناه، وما أنفقناه فقد ربحناه، وما خلفناه فقد خسرناه. ولقد أحسن القائل:

قدم لنفسك قبل موتك صالحا = واعمل فليس إلى الخلو سبيل

وقال آخر:

قدم لنفسك توبة مرجوة = قبل الممات وقبل حبس الألسن

وقال آخر:

ولدتك إذ ولدتك أمك باكيا = والقوم حولك يضحكون سرورا

فاعمل ليوم تكون فيه إذا بكوا = في يوم موتك ضاحكا مسرورا

وقال آخر:

سابق إلى الخير وبادر به = فإنما خلفك ما تعلم

وقدم الخير فكل امرئ = على الذي قدمه يقدم

وأحسن من هذا كله قول أبي العتاهية:

استعد بمالك في حياتك إنما = يبقى وراءك مصلح أو مفسد

وإذا تركت لمفسد لم يبقه = وأخو الصلاح قليله يتزيد

وإن استطعت فكن لنفسك وارثا = إن المورث نفسه لمسدد

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(10)

ثمرة التوكل

روى أبو داود وغيره عن عوف بن مالك قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعة أو ثمانية أو تسعة فقال:" ألا تبايعون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا: قد بايعناك حتى قالها ثلاثا، فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل: يا رسول الله! إنا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال:" أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا- وأسر كلمة خفية- قال: لا تسألوا الناس شيئا".

قال: ولقد كان بعض أولئك النفر يسقط- سوطه فما يسأل أحدا أن يناوله إياه.

قال ابن العربي: من أعظم المواثيق في الذكر ألا يسأل سواه، فقد كان أبو حمزة الخراساني من كبار العباد سمع أن أناسا بايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يسألوا أحدا شيئا، الحديث، فقال أبو حمزة: رب! إن هؤلاء عاهدوا نبيك إذ رأوه، وأنا أعاهدك ألا أسأل أحدا شيئا، قال: فخرج حاجا من الشام يريد مكة فبينما هو يمشي في الطريق من الليل إذ بقي عن أصحابه لعذر ثم أتبعهم، فبينما هو يمشي إليهم إذ سقط في بئر على حاشية الطريق، فلما حل في قعره قال: استغيث لعل أحدا يسمعني. ثم قال: إن الذي عاهدته يراني ويسمعني، والله! لا تكلمت بحرف للبشر، ثم لم يلبث إلا يسيرا إذ مر بذلك البئر نفر، فلما رأوه على حاشية الطريق قالوا: إنه لينبغي سد هذا البئر، ثم قطعوا خشبا ونصبوها على فم البئر وغطوها بالتراب، فلما رأى ذلك أبو حمزة قال: هذه مهلكة، ثم أراد أن يستغيث بهم، ثم قال: والله! لا أخرج منها أبدا، ثم رجع إلى نفسه فقال: أليس قد عاهدت من يراك؟ فسكت وتوكل، ثم استند في قعر البئر مفكرا في أمره، فإذا بالتراب يقع عليه، والخشب يرفع عنه، وسمع في أثناء ذلك من يقول: هات يدك! قال: فأعطيته يدي فأقلني في مرة واحدة إلى فم البئر، فخرجت فلم أر أحدا، فسمعت هاتفا يقول: كيف رأيت ثمرة التوكل، وأنشد:

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى = فأغنيتني بالعلم منك عن الكشف

تلطفت في أمري فأبديت شاهدي = إلى غائبي واللطف يدرك باللطف

تراءيت لي بالعلم حتى كأنما = تخبرني بالغيب أنك في كف

أراني وبي من هيبتي لك وحشة = فتؤنسني باللطف منك وبالعطف

وتحيي محبا أنت في الحب حتفه = وذا عجب كيف الحياة مع الحتف

قال ابن العربي: هذا رجل عاهد الله فوجد الوفاء على التمام والكمال، فاقتدوا به إن شاء الله تهتدوا. قال أبو الفرج الجوزي: سكوت هذا الرجل في هذا المقام على التوكل بزعمه إعانة على نفسه، وذلك لا يحل، ولو فهم معنى التوكل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لعلم أنه لا ينافي استغاثته في تلك الحالة، كما لم يخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التوكل بإخفائه الخروج من مكة، واستئجاره دليلا، واستكتامه ذلك الأمر، واستتاره في الغار، وقوله لسراقة:" أخف عنا".

فالتوكل الممدوح لا ينال بفعل محظور، وسكوت هذا الواقع في البئر محظور عليه، وبيان ذلك أن الله تعالى قد خلق للآدمي آلة يدفع عنه بها الضرر، وآلة يجتلب بها النفع، فإذا عطلها مدعيا للتوكل كان ذلك جهلا بالتوكل، وردا لحكمة التواضع، لأن التوكل إنما هو اعتماد القلب على الله تعالى، وليس من ضرورته قطع الأسباب، ولو أن إنسانا جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار، قاله سفيان الثوري وغيره، لأنه قد دل على طريقة السلامة، فإذا تقاعد عنها أعان على نفسه.

** ** **

(11)

عبادة التفكر

والفكرة: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر، ورجل فكير كثير الفكر، ومر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قوم يتفكرون في الله فقال: (تفكروا في الخلق، ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره) وإنما التفكر والاعتبار وانبساط الذهن في المخلوقات كما قال:" وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ".

وحكي أن سفيان الثوري رضي الله عنه صلى خلف المقام ركعتين، ثم رفع رأسه إلى السماء، فلما رأى الكواكب غشي عليه، وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بينما رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم أغفر لي فنظر الله إليه فغفر له) وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عبادة كتفكر). وروي عنه عليه السلام قال: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة).رواه البيهقى

وروى ابن القاسم عن مالك قال: قيل لام الدرداء: ما كان أكثر شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنه التفكر. قيل له: أفترى التفكر عمل من الأعمال؟ قال: نعم، هو اليقين. وقيل لابن المسيب في الصلاة بين الظهر والعصر، قال: ليست هذه عبادة، إنما العبادة الورع عما حرم الله والتفكر في أمر الله. وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، وقاله ابن العباس وأبو الدرداء. وقال الحسن: الفكرة مرآة المؤمن ينظر فيها إلى حسناته وسيئاته. ومما يتفكر فيه مخاوف الآخرة من الحشر والنشر والجنة ونعيمها والنار وعذابها. ويروى أن أبا سليمان الداراني رضي الله عنه أخذ قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده ضيف، فرآه لما أدخل أصبعه في أذن القدح أقام لذلك متفكرا حتى طلع الفجر، فقال له: ما هذا يا أبا سليمان؟ قال: إني لما طرحت إصبعي في أذن القدح تفكرت في قول الله تعالى" إِذِ الْأَغْلالُ فِي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ" غافر/ 71 تفكرت، في حالي وكيف أتلقى الغل إن طرح في عنقي يوم القيامة، فما زلت في ذلك حتى أصبحت.

قال ابن العربي: اختلف الناس أي العملين أفضل: التفكر أم الصلاة، فذهب الصوفية إلى أن التفكر أفضل، فإنه يثمر المعرفة وهو أفضل، المقامات الشرعية. وذهب الفقهاء إلى أن الصلاة أفضل، لما ورد في الحديث من الحث عليها والدعاء إليها والترغيب فيها.

وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه بات عند خالته ميمونة، وفية: فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمسح النوم عن وجهه ثم قرأ الآيات العشر الحواتم من سورة آل عمران، وقام إلى شن (القربة) معلق فتوضأ وضوءا خفيفا ثم صلى ثلاث عشرة ركعة، الحديث. فانظروا رحمكم الله إلى جمعه بين التفكر في المخلوقات ثم إقباله على صلاته بعده، وهذه السنة هي التي يعتمد عليها. فأما طريقة الصوفية أن يكون الشيخ منهم يوما وليلة وشهرا مفكرا لا يفتر، فطريقه بعيدة عن الصواب غير لائقة بالبشر، ولا مستمرة على السنن.

قال ابن عطية: وحدثني أبي عن بعض علماء المشرق قال: كنت بائتا في مسجد الاقدام (مسجد الاقدام: مسجد كان بجهة مصر العتيقة قريبا من سقاية ابن طولون.) بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلا قد اضطجع في كساء له مسجى بكسائه حتى أصبح، وصلينا نحن تلك الليلة، فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل القبلة وصلي مع الناس، فاستعظمت جراءته في الصلاة بغير وضوء، فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لاعظه، فلما دنوت منه سمعته ينشد شعرا:

مسجى الجسم غائب حاضر = منتبه القلب صامت ذاكر

منقبض في الغيوب منبسط = كذاك من كان عارفا ذاكر

يبيت في ليله أخا فكر = فهو مدى الليل نائم ماهر

قال: فعلمت أنه ممن يعبد بالفكرة، فانصرفت عنه.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(12)

لتسألن عن هذا يوم القيامة

قال تعالى:" ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ التكاثر /8

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: "ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة"؟ قالا: الجوع يا رسول الله. قال:"وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوما"فقاما معه، فأتى رجلا من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا. فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أين فلان)؟ قالت: يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله! ما أحد اليوم أكرم إضافيا مني. قال: فانطلق، فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب، فقال: كلوا من هذه. واخذ المدية فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"إياك والحلوب" فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابي بكر وعمر: "والذي نفسي بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم، يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم".

وفى رواية الترمذي وقال:"هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة: ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد"وكنى الرجل الذي من الأنصار، فقال: أبو الهيثم ابن التيهان. وذكر قصته.

وقد ذكر أبو نعم الحافظ، عن أبي عسيب مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلا، فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه، فخرج إليه، ثم مر بعمر فدعاه، فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: (أطعمنا بسرا) فجاء بعذق، فوضعه فأكلوا، ثم دعا بماء فشرب، فقال: (لتسألن عن هذا يوم القيامة) قال: واخذ عمر العذق، فضرب به الأرض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يا رسول الله، إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: (نعم إلا من ثلاث: كسرة يسد بها جوعته، أو ثوب يستر به عورته، أو حجر يأوي فيه من الحر والقر).

اختلف أهل التأويل في النعيم المسئول عنه على أقوال:

أحدها: الصحة والفراغ، قاله سعيد بن جبير. وفي البخاري عنه عليه السلام: (نعمتان «1» مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيهما:الإدراك بحواس السمع والبصر، قاله ابن عباس. وفي التنزيل:" إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا "الاسراء/ 36.

وفي الصحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يؤتي بالعبد يوم القيامة، فيقول له: ألم أجعل لك سمعا وبصرا، ومالا وولدا...)، الحديث.

ثالثهما: وقيل: النوم مع الأمن والعافية. وقال سفيان بن عيينة: إن ما سد الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس، لا يسأل عنه المرء يوم القيامة، وإنما يسأل عن النعيم. قال: والدليل عليه أن الله تعالى أسكن آدم الجنة. فقال له: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرى."وَأَنَّكَ لا تَظْمَؤُا فِيها وَلا تَضْحى"طه/ 119- 118. فكانت هذه الأشياء الاربعة- ما يسد به الجوع، وما يدفع به العطش، وما يستكن فيه من الحر، ويستر به عورته- لآدم عليه السلام بالإطلاق، لا حساب عليه فيها، لأنه لأبد له منها.

وقيل: هو ما أنعم الله علينا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وفي التنزيل: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ.آل عمران/ 164.

وقال الحسن أيضا والمفضل: هو تخفيف الشرائع، وتيسير القرآن، قال الله تعالى: وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.الحج/ 78، وقال تعالى: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ.القمر/ 17.

وكل هذه نعم، فيسأل العبد عنها: هل شكر ذلك أم كفر.

** ** **

(13)

أحييتني أحياك الله

عن عمر بن حبيب قال: حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم، فاحتج بعضهم بحديث يرويه أبو هريرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لان أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا: الحديث صحيح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل: صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول، وتحنط وتكفن! فقلت: اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك، وأجللت نبيك أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يطعن على أصحابه، فسلمني منه. فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عن ذراعيه، بيده السيف وبين يديه النطع (النطع (بالكسر): بساط من الأديم.) فلما بصر بي قال لي: يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع لقولي بمثل ما تلقيتني به فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة، والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول، فرجع إلى نفسه ثم قال: أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله! وأمر لي بعشرة آلاف درهم. قلت: فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الامة.

وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم. ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الامر فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك، ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء، فلا بد من البحث. وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم الجنة بقوله تعالى" مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً". وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك. وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد، وكل مجتهد مصيب.

** ** **

(14)

هواك داؤك فإن خالفته فدواؤك

عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به". وقال أبو أمامة: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:" ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى". وقال شداد بن أوس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت. والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله (. وقال عليه السلام:" إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة". وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه. والمنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب". وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه، فإن كان عمله تبعا لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح. وقال الأصمعي سمعت رجلا يقول:

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه = فإذا هويت فقد لقيت هوانا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال: هوان سرقت نونه، فأخذه شام فنظمه وقال:

نون الهوان من الهوى مسروقة = فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال آخر:

إن الهوى لهو الهوان بعينه = فإذا هويت فقد كسبت هوانا

وإذا هويت فقد تعبدك الهوى = فاخضع لحبك كائنا من كانا

ولعبد الله بن المبارك:

ومن البلايا للبلاء علامة = ألا يرى لك عن هواك نزوع

العبد عبد النفس في شهواتها = والحر يشبع تارة ويجوع

ولابن دريد:

إذا طالبتك النفس يوما بشهوة = وكان إليها للخلاف طريق

فدعها وخالف ما هويت فإنما = هواك عدو والخلاف صديق

ولأبي عبيد الطوسي:

والنفس إن أعطيتها مناها = فاغرة نحو هواها فاها

وقال أحمد بن أبي الحواري: مررت براهب فوجدته نحيفا فقلت له: أنت عليل. قال نعم. قلت مذ كم؟ قال: مذ عرفت نفسي! قلت فتداوى؟ قال: قد أعياني الدواء، وقد عزمت على الكي. قلت وما الكي؟ قال: مخالفة الهوى. وقال سهل بن عبد الله التستري: هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك. وقال وهب: إذا شككت في أمرين ولم تدر خيرهما فانظر أبعدهما من هواك فأته.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(15)

بادر بالمعروف

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كل معروف صدقة وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق).رواه مسلم المعروف لفظ يعم أعمال البر كلها. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره، فقد يشكر الشاكر بأضعاف جحود الكافر. وقال الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه = لا يذهب العرف بين الله والناس

وأنشد الرياشي:

يد المعروف غنم حيث كانت = تحملها كفور أو شكور

ففي شكر الشكور لها جزاء = وعند الله ما كفر الكفور

وقال الماوردي: (فينبغي لمن يقدر على إسداء المعروف أن يعجله حذار فواته، ويبادر به خيفة عجزه، وليعلم أنه من فرص زمانه، وغنائم إمكانه، ولا يهمله ثقة بالقدرة عليه، فكم من واثق بالقدرة فاتت فأعقبت ندما، ومعول على مكنة زالت فأورثت خجلا، كما قال الشاعر:

ما زلت أسمع كم من واثق خجل = حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا

ولو فطن لنوائب دهره، وتحفظ من عواقب أمره لكانت مغانمه مذخورة، ومغارمه مجبورة، فقد روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: (من فتح عليه باب من الخير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يغلق عنه (. وروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:) لكل شي ثمرة وثمرة المعروف السراح.

وقيل لأنوشروان: ما أعظم المصائب عندكم؟ قال: أن تقدر على المعروف فلا تصطنعه حتى يفوت. وقال عبد الحميد: من أخر الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها. وقال بعض الشعراء:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها = فإن لكل خافقة سكون

ولا تغفل عن الإحسان فيها = فما تدري السكون متى يكون

وكتب بعض ذوي الحرمات إلى وال قصر في رعاية حرمته:

أعلى الصراط تريد رعية حرمتي = أم في الحساب تمن بالإنعام

للنفع في الدنيا أريدك، فانتبه = لحوائجي من رقدة النوام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال العباس رضي الله عنه: لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال: تعجيله وتصغيره وستره، فإذا عجلته هنأته، وإذا صغرته عظمته، وإذا سترته أتممته. وقال بعض الشعراء:

زاد معروفك عندي عظما = أنه عندك مستور حقير

تتناساه كأن لم تأته = وهو عند الناس مشهور خطير

ومن شرط المعروف ترك الامتنان به، وترك الإعجاب بفعله، لما فيهما من إسقاط الشكر وإحباط الأجر. وفي الخبر: (كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله تعالى.

فأما من طلب الرياء والترؤس فلا ينال الثواب. وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: رد الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن.

** ** **

(16)

فى القرض إلى الله

عن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت:" مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً" قال أبو الدحداح: يا رسول الله أو إن الله تعالى يريد منا القرض؟ قال:" نعم يا أبا الدحداح" قال: أرني يدك قال فناوله، قال: فإني أقرضت الله حائطا فيه ستمائة نخلة. ثم جاء يمشى حتى أتى الحائط وام الدحداح فيه وعياله، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: أخرجي، قد أقرضت ربى عز وجل حائطا فيه ستمائة نخلة. وقال زيد بن أسلم: لما نزل:" مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً" قال أبو الدحداح: فداك أبى وأمي يا رسول الله! إن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض؟ قال:" نعم يريد أن يدخلكم الجنة به". قال: فإني إن أقرضت ربى قرضا يضمن لي به ولصبيتى الدحداحة معى الجنة؟ قال:" نعم" قال: فناولني يدك، فناوله رسوله الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده. فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضا لله تعالى. قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك" قال: فأشهدك يا رسول الله أنى قد جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة. قال:" إذا يجزيك الله به الجنة". فأنطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهى مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداك ربى سبل الرشاد = إلى سبيل الخير والسداد

بيني من الحائط بالوداد = فقد مضى قرضا إلى التناد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقرضته الله على اعتمادي = بالطوع لا منّ ولا ارتداد

إلا رجاء الضعف في المعاد = فارتحلي بالنفس والأولاد

والبر لا شك فخير زاد = قدمه المرء إلى المعاد

قالت أم الدحداح: ربح بيعك! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح = مثلك أدى ما لديه ونصح

قد متع الله عيالي ومنح = بالعجوة السوداء والزهو البلح

والعبد يسعى وله ما قد كدح = طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" كم من عذق (العذق (بفتح فسكون): النخلة. وبكسر فسكون: العرجون بما فيه من الشماريخ. ورداح ثقيلة.)رداح ودار فياح (الفياح (بالتشديد والتخفيف): الواسع.) لابي الدحداح".

في قوله تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون [البقرة:245]. مع أن الذي يقترض يكون محتاجا، والله عز وجل هو الغني، وما سواه فقير إليه كما قال تعالى: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد [فاطر:15]. فلما كان القرض يرد مرة ثانية إلى صاحبه والصدقة تعود على صاحبها أوفر ما كانت في الآخرة سمى الله عز وجل ذلك قرضا مع أنه لا يشبه القرض في كل شيء، فكذلك هنا ندب الله عز وجل العباد إلى بذل نفوسهم لله عز وجل بما يتعارفونه بينهم بجعلهم بائعين لنفوسهم مع أنه لا يشبه البيع من كل وجه.

هذه النفقة . أيها المسلمون . هي سبيل الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، الذين كانوا يجودون بما آتاهم الله من فضله، يبتغون ما عند الله من ثوابٍ وأجر، قال أنس بن مالكٍ رضيَ الله عنه: ما سُئل رسول الله على الإسلام شيئًا إلا أعطاه، وقد جاءه رجلٌ فسأله فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع الرجل إلى قومه يقول لهم: أسلموا؛ جئتكم من عند خير الناس، إنَّ محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر أبدًا. كان لا يُسأل عن شيءٍ قطّ فيقول: لا، ربما خلع قميصه الذي يلبسه فوهبه لمن سأله إياه، ولربما وهب قميصه لمن طلبه ليكفِّن فيه أباه، ما كان يُسأل شيئًا قط فيقول: لا.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(17)

ولا تجسسوا

عن معاوية قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:"إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم" رواه ابو داود واحمد وصححه الألبانى فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفعه الله تعالى بها.

وعن المقدام بن معدي يكرب عن أبي أمامة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:" إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم ". رواه احمد وحسنه الالبانى

وعن زيد بن وهب قال: أتي ابن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمرا. فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به. وعن أبي برزة الأسلمي قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته".

وقال عبد الرحمن ابن عوف: حرست ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة إذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب فما ترى!؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله تعالى:" وَلا تَجَسَّسُوا" وقد تجسسنا، فانصرف عمر وتركهم. وقال أبو قلابة: حدث عمر ابن الخطاب أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر مع أصحاب له في بيته، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: إن هذا لا يحل لك! قد نهاك الله عن التجسس، فخرج عمر وتركه. وقال زيد بن أسلم: خرج عمر وعبد الرحمن يعسان، إذ تبينت لهما نار فاستأذنا ففتح الباب، فإذا رجل وامرأة تغني وعلى يد الرجل قدح، فقال عمر: وأنت بهذا يا فلان؟ فقال: وأنت بهذا يا أمير المؤمنين! قال عمر: فمن هذه منك؟ قال امرأتي، قال فما في هذا القدح؟ قال ماء زلال، فقال للمرأة: وما الذي تغنين؟ فقالت:

تطاول هذا الليل واسود جانبه = وأرقني أن لا خليل ألاعبه

فوالله لولا الله أني أراقبه = لزعزع من هذا السرير جوانبه

ولكن عقلي والحياء يكفني = وأكرم بعلي أن تنال مراكبه

ثم قال الرجل: ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين! قال الله تعالى:" وَلا تَجَسَّسُوا". قال صدقت. قلت: لا يفهم من هذا الخبر أن المرأة كانت غير زوجة الرجل، لان عمر لا يقر على الزنى، وإنما غنت بتلك الأبيات تذكارا لزوجها، وأنها قالتها في مغيبه عنها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال عمرو بن دينار: كان رجل من أهل المدينة له أخت فاشتكت، فكان يعودها فماتت فدفنها. فكان هو الذي نزل في قبرها، فسقط من كمه كيس فيه دنانير، فاستعان ببعض أهله فنبشوا قبرها فأخذ الكيس ثم قال: لأكشفن حتى أنظر ما آل حال أختي إليه، فكشف عنها فإذا القبر مشتعل نارا، فجاء إلى أمه فقال: أخبريني ما كان عمل أختي؟ فقالت: قد ماتت أختك فما سؤالك عن عملها! فلم يزل بها حتى قالت له: كان من عملها أنها كانت تؤخر الصلاة عن مواقيتها، وكانت إذا نام الجيران قامت إلى بيوتهم فألقمت أذنها أبوابهم، فتجسس عليهم وتخرج أسرارهم، فقال: بهذا هلكت!

** ** **

(18)

مكارم الأخلاق

كما أن العلل في الأجساد تذهب معها الصحة، وتنحل القوى، فكذلك العلل في الأخلاق، تفسد الدين، وتقطع المرء من الخير في الدنيا والأخرى، ومن أجل ذلك كانت دعوة النبي إلى إصلاح الأخلاق إلى جانب إصلاح العقائد، وحسبكم دليلاً على ذلك قول الحق تبارك وتعالى في معرض الثناء على نبيه الكريم: وإنك لعلى خلق عظيم" القلم/4. مع توجيهه سبحانه لأهل الإيمان بقوله: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" الأحزاب/21.

قال جابر بن سليم أبو جري: ركبت قعودي ثم أتيت إلى مكة فطلبت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأنخت قعودي بباب المسجد، فدلوني على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا هو جالس عليه برد من صوف فيه طرائق حمر، فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال:" وعليك السلام". فقلت: إنا معشر أهل البادية، قوم فينا الجفاء، فعلمني كلمات ينفعني الله بها. قال:" ادن" ثلاثا، فدنوت فقال:" أعد علي" فأعدت عليه فقال: (اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا وأن تلقى أخاك بوجه منبسط وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيئا مما خولك الله تعالى (. قال أبو جري: فوالذي نفسي بيده، ما سببت بعده شاة ولا بعيرا. رواه البزار فى مسنده.

وروى أبو سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال:" إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق".رواه الحاكم فى مستدركه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وروى البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله:" خذ العفو وأمر بالعرف" قال: ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس.

وروى سفيان بن عيينة عن الشعبي أنه قال: إن جبريل نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" ما هذا يا جبريل"؟ فقال:" لا أدري حتى أسأل العالم" في رواية" لا أدري حتى أسأل ربي" فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال:" إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك". فنظمه بعض الشعراء فقال:

مكارم الأخلاق في ثلاثة = وممن كملت فيه فذلك الفتى

إعطاء من تحرمه ووصل من = تقطعه والعفو عمن اعتدى

وقال سهل بن عبد الله: كلم الله موسى بطور سيناء. قيل له: بأي شي أوصاك؟ قال: بتسعة أشياء، الخشية في السر والعلانية، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغني، وأمرني أن أصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأعفو عمن ظلمني، وأن يكون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبرة. قلت: وقد روي عن نبينا محمد أنه قال، (أمرني ربي بتسع الإخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وأن أعفو عمن ظلمني واصل من قطعني وأعطي من حرمني وأن يكون نطقي ذكرا وصمتي فكرا نظري عبرة

وفي سنن أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول: ((إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم))، وفيه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((أنا زعيم – يعني ضامن – ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه))، وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله: ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار – أو بمن تحرم عليه النار – تحرم على كل قريب هين لين سهل)).

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(19)

فضيلة العلم

روى الترمذي من حديث أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر. إن طبيعة الإسلام تفرض على الأمة التي تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المتعلّمين وتهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين، ذلك لأن حقائق هذا الدين من أصول وفروع ليست طقوساً تُنقل بالوراثة أو تعاويذ تشيع بالإيحاء وتنتشر بالإيهام.

كلا إنها حقائق تستخرج من كتاب الله الكتاب الحكيم ومن سنة واعية، من سنة الرسول الكريم ولقد كان أول مانزل من القرآن الكريم على رسولنا محمد اقرأ باسم ربك الذي خلق، فطلب العلم فضيلة عظيمة ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل، وروى الدارمي أبو محمد في مسنده قال: حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي عن الحسن قال سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما كان عالما يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير. والآخر يصوم النهار ويقوم الليل، أيهما أفضل؟ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على أدناكم ". إن الميزة الأولى التي ينفرد بها الإنسان هي استعداده للعلم، ومن أجلها استحق الخلافة في الأرض والسيطرة عليها، واستحق أن تخضع له أكرم مخلوقات الله، وهم الملائكة، فأمرهم الله بالسجود لآدم بعد أن أظهر عليهم ميزته بالعلم، بعدما كانوا تعجبوا كيف يجعل الله في الأرض خليفة ممن شأنُه سفك الدماء والإفساد في الأرض ومما جاء في الحديث الشريف عن فضل العلم قول الرسول: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم يتنفع به أو ولد صالح يدعو له".رواه مسلم

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي). وقال ابن عباس: أفضل الجهاد من بنى مسجدا يعلم فيه القرآن والفقه والسنة. رواه شريك عن ليث بن أبي سليم عن يحيى بن أبي كثير عن علي الأزدي قال: أردت الجهاد فقال لي ابن عباس ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد، تأتي مسجدا فتقرى فيه القرآن وتعلم فيه الفقه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال الربيع سمعت الشافعي يقول: طلب العلم أوجب من الصلاة النافلة. وقوله عليه السلام: (إن الملائكة لتضع أجنحتها) الحديث يحتمل وجهين: أحدهما- أنها تعطف عليه وترحمه، كما قال الله تعالى فيما وصى به الأولاد من الإحسان إلى الوالدين بقوله:

"وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ" الاسراء/ 24 أي تواضع لهما. والوجه الآخر- أن يكون المراد بوضع الأجنحة فرشها، لان في بعض الروايات (وإن الملائكة تفرش أجنحتها) أي إن الملائكة إذا رأت طالب العلم يطلبه من وجهه ابتغاء مرضات الله وكانت سائر أحواله مشاكلة لطلب العلم فرشت له أجنحتها في رحلته وحملته عليها، فمن هناك يسلم فلا يحفى إن كان ماشيا ولا يعيا، وتقرب عليه الطريق البعيدة ولا يصيبه ما يصيب المسافر من أنواع الضرر كالمرض وذهاب المال وضلال الطريق.

ورضي الله عن مصعب بن الزبير الذي قال لابنه: ((يا بني تعلم العلم فإنه إن يك لك مال كان لك العلم جمالاً وإن لم يكن لك مال كان لك العلم مالاً)) ولله در من قال:

...ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم .....على الهدى لمن استهدى أدلاّء

.....وقدر كل أمرئ ماكان يحنيه.....والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقال:

...تعلم فليس المرء يولد عالماً.....وليس أخو علم كمن هو جاهل

.....وإن كبير القوم لاعلم عنده.....صغير إذا التفت عليه المحافل

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(20)

أخف الناس عذابا

روى أهل السير قال: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد خرج إلى الكعبة يوما وأراد أن يصلي، فلما دخل في الصلاة قال أبو جهل لعنه الله-: من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته. فقام ابن الزبعري فأخذ فرثا ودما فلطخ به وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانفتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صلاته، ثم أتى أبا طالب عمه فقال: (يا عم ألا ترى إلى ما فعل بي) فقال أبو طالب: من فعل هذا بك؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عبد الله بن الزبعري، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون، فقال أبو طالب: والله لئن قام رجل جللته بسيفي فقعدوا حتى دنا إليهم، فقال: يا بني من الفاعل بك هذا؟ فقال: (عبد الله بن الزبعري)، فأخذ أبو طالب فرثا ودما فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول، فنزلت هذه الآية" (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)" فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يا عم نزلت فيك آية) قال: وما هي؟ قال: (تمنع قريشا أن تؤذيني وتأبى أن تؤمن بي) فقال أبو طالب:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم = حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة = وابشر بذاك وقر منك عيونا

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي = فلقد صدقت وكنت قبل أمينا

وعرضت دينا قد عرفت بأنه = من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة = لوجدتني سمحا بذاك يقينا

فقالوا: يا رسول الله هل تنفع أبا طالب نصرته؟ قال: (نعم دفع عنه بذاك الغل ولم يقرن مع الشياطين ولم يدخل في جب الحيات والعقارب إنما عذابه في نعلين من نار في رجليه يغلي منهما دماغه في رأسه وذلك أهون أهل النار عذابا (. وأنزل الله على رسوله" فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ" الأحقاف/ 35 وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه:) قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة) قال: لولا تعيرني قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى:" إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ" القصص/56.

وفي صحيح مسلم أيضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه). وأما عبد الله ابن الزبعري فإنه أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، واعتذر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبل عذره، وكان شاعرا مجيدا، فقال يمدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وله في مدحه أشعار كثيرة ينسخ بها ما قد مضى في كفره، منها قوله:

منع الرقاد بلابل وهموم = والليل معتلج الرواق بهيم

مما أتاني أن أحمد لامني = فيه فبت كأنني محموم

يا خير من حملت على أوصالها = عيرانة سرح اليدين غشوم

إني لمعتذر إليك من الذي = أسديت إذ أنا في الضلال أهيم

أيام تأمرني بأغوى خطة = سهم وتأمرني بها مخزوم

وأمد أسباب الردى ويقودني = أمر الغواة وأمرهم مشئوم

فاليوم آمن بالنبي محمد = قلبي ومخطئ هذه محروم

مضت العداوة فانقضت أسبابها = وأتت أواصر بيننا وحلوم

فاغفر فدى لك والداي كلاهما = زللي فإنك راحم مرحوم

وعليك من سمة المليك علامة = نور أغر وخاتم مختوم

أعطاك بعد محبة برهانه = شرفا وبرهان الإله عظيم

ولقد شهدت بأن دينك صادق = حقا وأنك في العباد جسيم

والله يشهد أن أحمد مصطفى = مستقبل في الصالحين كريم

قرم علا بنيانه من هاشم = فرع تمكن في الذرى وأروم

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(21)

أعظم المصائب

المصيبة: كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، يقال: أصابه إصابة ومصابة ومصابا. والمصيبة واحدة المصائب. والمصيبة: النكبة ينكبها الإنسان وإن صغرت، وتستعمل في الشر.

أخي الحبيب تمرّ بك في هذه الدّنيا مِحنٌ ورزايا ومصائبُ وبلايا وهمومٌ وأحزان، ولا يخلِّصك من تلكم الأهوالِ العظيمة إلاّ لجوءٌ إلى الله والأخذ بالأسباب التي شرعَها الله لتخلُّص من تلك البلايا والرزايا، فالمؤمِن يتلقَّى ذلك البلاءَ بالصَّبر والثباتِ، لا يستكينُ أمام الأحداثِ، ولا يضعُف أمام الملِمَّات، إنما يتلقَّاها بحزمِ الأقوياء وعزيمةِ الأصفياء" الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"آل عمران/173.

روى عكرمة أن مصباح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انطفأ ذات ليلة فقال:" إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ" فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله؟ قال: (نعم كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة). قلت: هذا ثابت معناه في الصحيح، خرج مسلم عن أبي سعيد وعن أبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته).

وخرج ابن ماجة في سننه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع بن الجراح عن هشام بن زياد عن أمه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"من أصيب بمصيبة فذكر مصيبته فأحدث استرجاعا وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب".

من أعظم المصائب المصيبة في الدين، قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها من أعظم المصائب". أخرجه السمرقندي أبو محمد في مسنده،قال أبو عمر: وصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لان المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي وماتت النبوة. وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه. قال أبو سعيد: ما نفضنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أنكرنا قلوبنا. ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمه معنى هذا الحديث حيث يقول:

اصبر لكل مصيبة وتجلد = واعلم بأن المرء غير مخلد

أوما ترى أن المصائب جمة = وترى المنية للعباد بمرصد

من لم يصب ممن ترى بمصيبة؟ = هذا سبيل لست فيه بأوحد

فإذا ذكرت محمدا ومصابه = فاذكر مصابك بالنبي محمد

تدبَّر كتابَ الله لترى العَجَب العُجاب، ترَى كرامةَ الله للمتَّقين، وترى تفريجَ الله للمَهمومين وتيسيرَه للمعسِرين، اقرأ كتابَ الله لترَى كيف أنجَى الله رسلَه وأنبياءَه مِن كيدِ مَن أرادهم بسوء، فانظر إلى نوحٍ وقد مكَث في قومِه ألفَ سنة إلا خمسين عامًا، والله يقول: "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ "هود/40 فأنجاه وأغرقَ قومَه، وانظر إلى إبراهيمَ وقد ابتُلِي بأن يلقَى في النار قال الله: "كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ الأنبياء/69 ورأى في المنامِ أن يذبحَ ابنَه إسماعيلَ، فصبر ثمّ جاء الفرجُ من الله "وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ الصافات/107 وكاد فرعونُ لموسى ما كاد، حتى أنجى الله موسَى وأغرق فرعونَ وهم ينظرونَ إلى نجاةِ موسى ويرَونَ ما حلَّ بهم من المصائبِ العظيمة.

وسيِّد الأوَّلين والآخرين وإمام المتَّقين محمّد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، كم عانى من الشدائدِ، وكم عانى من البلاء وتحدِّيات الكفارِ له ولأتباعه، ومع هذا كان صابرًا ثابت الجأشِ والله يقول له: "وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ هود/120. تآمَروا على قتلِه، ودبَّروا مكيدتهم، فأخذَ الله أبصارَهم عنه وخرَج يلقِي الترابَ على رؤوسهم ويتلو: "وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ"يس/9، "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ "الأنفال/30. يختفِي في غارِ ثور، ويقرب الطلبُ منه، فيُحال بينهم وبينَه حتى يصِلَ إلى المدينة سالمًا معافى، وكم كادوا له يومَ الأحزاب، ففرَّج الله ذلك، "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا "الأحزاب/9. جاءَه أصحابُه يشكون إليه ما يلقَونَ من كيدِ الكافرين، قال خباب بن الأرتّ: أتَينا رسولَ الله وهو مُضجِعٌ بظلالِ الكعبة على بردٍ له فقلنا: ألا تستغفِر لنا؟! ألا تسأل لنا؟! فقال:"إنّ من قبلكم يؤتَى بالرّجل فيحفَر حفرة له، فيوضَع فيها ويوضَع المنشار على رأسه فيشقّ نصفين، ويؤتَى بأمشاطِ الحديد ما بين جِلده وعظمِه، ما يصدُّه ذلك عن دينِه، وليتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يَسير الراكِبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخشى إلاّ الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم قومٌ يستعجلون"رواه البخارى. يستأذِنه ملكُ الجبال أن يطبِقَ عليهم أخشبَي مكّة فيقول:"أتأنَّى بهم لعلَّ اللهَ أن يخرِجَ مِن أصلابهم من يعبدُه لا يشرِك به شيئًا" رواه البخارى.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(22)

معنى التهلكة

يقول تعالى:" وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " البقرة / 195روى يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: غزونا القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه! لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: سبحان الله! أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه، قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله عز وجل:" وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ" الآية. والإلقاء باليد إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. فلم يزل أبو أيوب مجاهدا في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية، فقبره هناك. فأخبرنا أبو أيوب أن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله، وأن الآية نزلت في ذلك.

وروى الترمذي عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران هذا الخبر بمعناه فقال:" كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! يلقى بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد عليه ما قلنا:" وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ". فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح".

وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس وعكرمة وعطاء ومجاهد وجمهور الناس: المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة، فيقول الرجل: ليس عندي ما أنفقه. وإلى هذا المعنى ذهب البخاري إذ لم يذكر غيره.

وقال ابن عباس: أنفق في سبيل الله، وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص (المشقص (كمنبر): نصل عريض أو منهم فيه نصل، يرمى به الوحش.)، ولا يقولن أحدكم: لا أجد شيئا. ونحوه عن السدي: أنفق ولو عقالا، ولا تلقي بيدك إلى التهلكة فتقول: ليس عندي شي.

وقول ثالث. قاله ابن عباس، وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أمر الناس بالخروج إلى الجهاد قام إليه أناس من الاعراب حاضرين بالمدينة فقالوا: بما ذا نتجهز! فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد، فنزل قوله تعالى:" وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللَّهِ" يعني تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله، يعني في طاعة الله." وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ" يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا.

وقول رابع- قيل للبراء ابن عازب في هذه الآية: أهو الرجل يحمل على الكتيبة؟ فقال لا، ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه ويقول: قد بالغت في المعاصي ولا فائدة في التوبة، فييأس من الله فينهمك بعد ذلك في المعاصي. فالهلاك: اليأس من الله، وقال عبيدة السلماني. وقال زيد بن أسلم: المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد، وقد كان فعل ذلك قوم فأداهم ذلك إلى الانقطاع في الطريق، أو يكون عالة على الناس.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(23)

احذر المنجمين والكهان

فى زماننا هذا تكاثر هذا النوع من السحرة والكهان، تكاثر المنجمون الذين يزعمون الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ويدعون علم الغيب يدعي أحدهم علم ما جرى لك فيما مضى أو ما سيجري في المستقبل.

يدعون علم الغيب وقد يسمون أنفسهم بالروحانيين وما هم إلا من السحرة أو الكهنة كذابين أصحاب المائة كذبة يكذبون ويأكلون أموال الناس بالباطل ويستغلون ضعف النفوس وضعف العقول ممن يصدقونهم.

والمؤمن الموحد مأمور بألا يصدق هؤلاء المنجمين بأن يحذر منهم ولا يصدقهم ولا يعول على أقاويلهم فإنهم يفسدون عليه إيمانه ويضعفون صلتهم بالرب تعالى ويضعفون توكله عليه وحسن ظنه بالرب سبحانه وتعالى.

إلى جانب ما في تصديقهم والتعويل على أقاويلهم واللجوء إليهم ما فيه من الذنب العظيم والكفر العظيم كما أخبر بذلك سيدنا الأمين سيدنا محمد في قوله كما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن النبي صلى عليه وسلم قال:" من أتى عرافا (فسأله عن شي) لم تقبل له صلاة أربعين ليلة". والعراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب. وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها. وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم، وأسباب معتادة في ذلك. وهذا الفن هو العيافة (بالياء). وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة، قاله القاضي عياض. والكهانة: ادعاء علم الغيب. قال أبو عمر بن عبد البر في (كتاب) (الكافي): من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشاء واخذ الأجرة على النياحة والغناء، وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء، وعلى الزمر واللعب والباطل كله. قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين، والكهان لا سيما بالديار المصرية، فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال، واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل (السراب: الذي يكون نصف النهار لاطئا بالأرض لاصقا بها كأنه ماء جار. والآل: الذي يكون بالضحى كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها.)

، ومن أديانهم على الفساد والضلال. وكل ذلك من الكبائر، لقول عليه السلام:" لم تقبل لصلاة أربعين ليلة". فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمدا على أقوالهم. روى مسلم عن عائشة (رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله صلى الله عليه وسم أناس عن الكهان فقال:" إنهم ليسوا بشيء " فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقا! فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه (قر الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة". (القر: ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخرجه البخاري (أيضا) من حديث أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة أنها سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:" إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوجيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم".

هذا هو الواجب في معرفة التوحيد إن الإنسان إذا وحد الله يعلم أنه ليس هناك من يعلم الغيب ويدعي معرفته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا من ارتضى الله له ذلك، فقد يرتضي الله لبعض عباده شيئاً من الغيبيات كالمرسلين والأنبياء فإنهم لا يعلمون إلا ما أعلمهم الله من أمور الغيب أو بعضها، وإن تعجب فعجب أن تسمع كثيراً ممن يدعون معرفة الغيب فيأتوننا في كل زمان وفي كل سنة وفي كل مكان ليحضروا لنا كتيبات يدعون فيها معرفة الغيب، وما يجري في السماء، وما يجري إلى قرن من الزمان، وهؤلاء كذبوا وزعموا وهؤلاء كذبوا وزعموا أنهم يعلمون الغيب، فكيف علموه هل جاءهم وحي من الله أعلمهم بذلك، أم أنه وحي شيطاني، وليعلم هؤلاء أنهم عرافون دجالون كهانون كذابون سحرة مشعوذون وجب على كل مسلم أن يكفر بهم ولا يؤمن بهم قط، فإن من آمن بهم كفر.

** ** **

(24)

البدعة والمبتدعون

قال تعالى:" وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " الأنعام / 153 ذكر الطبري في كتاب آداب النفوس: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان أن رجلا قال لابن مسعود: ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أدناه وطرفه في الجنة، وعن يمينه جواد (الجواد (بتشديد الدال): الطرق، واحدها جادة، وهي سواء الطريق. وقيل: معظمه وقيل: وسطه.) وعن يساره جواد، وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة، ثم قرأ ابن مسعود:" وأن هذا صراطي مستقيما" الآية.

وقال عبد الله بن مسعود: تعلموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب أهله، ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع، وعليكم بالعتيق. أخرجه الدارمي. وقال مجاهد في قوله:" وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ" قال: البدع. قال ابن شهاب: وهذا كقوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً " الآية. فالهرب الهرب، والنجاة النجاة! والتمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، وفية المتجر الرابح. روى الأئمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما أمرتكم به فخذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وروى ابن ماجة وغيره عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فما تعهد إلينا؟ فقال: (قد تركتكم على البيضاء (البيضاء. يريد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلا.) ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم والأمور المحدثات فإن كل بدعة ضلالة وعليكم بالطاعة وإن عبد احبشيا فإنما المؤمن كالجمل الأنف (الأنف (ككتف): المأنوف وهو الذي عقر الخشاش أنفه، فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به. وقيل: الأنف الذلول.) حيثما قيد انقاد) أخرجه الترمذي بمعناه وصححه.

وروى أبو داود قال حدثنا ابن كثير قال أخبرنا سفيان قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأل عن القدر، فكتب إليه: أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته، وكفوا مئونته، فعليك بلزوم الجماعة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم أعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فان السنة إنما سنها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وإنهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدي ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولين قلتم إنما حدث بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، قد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من مجسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا وإنهم مع ذلك لعلى مستقيم.

قال سهل: إنما ظهرت البدعة على يدي أهل السنة لأنهم ظاهروهم وقاولوهم، فظهرت أقاويلهم وفشت في العامة فسمعه من لم يكن يسمعه، فلو تركوهم ولم يكلموهم لمات كل واحد منهم على ما في صدره ولم يظهر منه شي وحمله معه إلى قبره. وقال سهل: لا يحدث أحدكم بدعة حتى يحدث له إبليس عبادة فيتعبد بها ثم يحدث له بدعة، فإذا نطق بالبدعة ودعا الناس إليها نزع منه تلك الخذمة. قال سهل: لا أعلم حديثا جاء في المبتدعة أشد هذا الحديث: (حجب الله الجنة عن صاحب البدعة).

وقال أيضا: أتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم. وفي مسند الدارمي: أن أبا موسى الأشعري جاء إلى عبد الله بن مسعود فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن رأيت في المسجد آنفا شيئا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيرا، قال: فما هو؟ قال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوما حلقا حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول لهم: كبروا مائة، فيكبرون مائة. فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة. ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة. قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا، انتظار رأيك وانتظار أمرك. قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يضيع من حسناتهم. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قال: فعدوا سيئاتكم وأنا ضامن لكم ألا يضيع من حسناتكم شي، ويحكم يا أمة محمد! ما أسرع هلكتكم. أو مفتتحي باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير. فقال: وكم من مريد للخير لن يصيبه.

وقال الأوزاعي: قال إبليس لأوليائه من أي شي تأتون بنى آدم؟ فقالوا: من كل شي. قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟ قالوا: هيهات! ذلك شي قرن بالتوحيد. قال: لأبثن فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه. قال: فبث فيهم الأهواء. وقال مجاهد: ولا أدري أي النعمتين علي أعظم أن هداني للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء.

وقال ابن عباس: النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة، عبادة. وقال أبو العالية: عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا. قال عاصم الأحول: فحدثت به الحسن فقال: قد نصحك والله وصدقك.

** ** **

(25)

التطير

مِن لوازمِ الإيمان الصّحيحِ والتوحيد الكامِل أن يتجنّبَ المرءُ كلَّ ما يؤثِّر في اعتقادِه أو ينافي إيمانَه بالله جلّ وعلا، ومن ذلك الحذَرُ من الخرافةِ بجميعِ صُوَرها ومن الضّلالات بشتى أشكالِها. إنَّ التشاؤمَ بمثل ذلك وغيره عقيدةٌ من عقائد الجاهلية الأولى وخُرافة من خرافاتِ أهلِ الشرك والوثنية، تحوِّل من اتِّجاههم وتوقِف مِن عزَائِمهم وتصدُّهم عن حاجاتهم ومَصالحهم، فجاءَت شريعةُ الإسلام شريعةُ التوحيد بإبطالِ ذلك كلِّه وبهدمِ بُنيانه من أساسِه، محرِّرةً العقولَ مِن رقِّ الوثنيّة وضلالات الجاهليّة، وفي هذا المقامِ نقِف وقفاتٍ مع هذا الموضوع المهمِّ وهو التطيُّر والتّشاؤم وموقف الإسلام منه.قيل لكل من تشاءم: تطير. وكانت العرب تتيمن بالسانح: وهو الذي يأتي من ناحية اليمين. وتتشاءم بالبارح: وهو الذي يأتي من ناحية الشمال. وكانوا يتطيرون أيضا بصوت الغراب، ويتأولونه البين. وكانوا يستدلون بمجاوبات الطيور بعضها بعضا على أمور، وبأصواتها في غير أوقاتها المعهودة على مثل ذلك. وهكذا الظباء إذا مضت سانحة أو بارحة، ويقولون إذا برحت:" من لي بالسانح بعد البارح (هذا مثل يضرب للرجل يسئ الرجل فيقال له: إنه سوف يحسن إليك. واصل ذلك أن رجلا مرت به ظباء بارحة فقيل له سوف تسنح لك فقال: من لي = إلخ.)

إلا أن أقوى ما عندهم كان يقع في جميع الطير، فسموا الجميع تطيرا من هذا الوجه. وتطير الأعاجم إذا رأوا صبيا يذهب به إلى العلم بالغداة، ويتيمنون برؤية صبي يرجع من عند المعلم إلى بيته، ويتشاءمون برؤية السقاء على ظهره قربة مملوءة مشدودة، ويتيمنون برؤية فارغ السقاء مفتوحة (قربته، ومتشاءمون بالحمال المثقل بالحمل، والدابة الموقرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(الدابة الموقرة: التي أصابتها الوقرة وهى صدع في الساق.)، ويتيمنون بالحمال الذي وضع جمله، وبالدابة يحط عنها ثقلها. فجاء الإسلام بالنهي عن التطير والتشاؤم بما يسمع من صوت طائر ما كان، وعلى أي حال كان، فقال عليه السلام: (أقروا الطير على مكناتها (مكناتها بكسر الكاف وقد تفتح: أي بيضها.). رواه ابو داود واحمد وصححه الألبانى وذلك أن كثيرا من أهل الجاهلية كان إذا أراد الحاجة أتى الطير في وكرها فنفرها، فإذا أخذت ذات اليمين مضى لحاجته، وهذا هو السانح عندهم. وإن أخذت ذات الشمال رجع، وهذا هو البارح عندهم. فنهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا بقول: "أقروا الطير على مكناتها" هكذا في الحديث.

وقال عكرمة: كنت عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر. قال علماؤنا: وأما أقوال الطير فلا تعلق لها بما يجعل دلالة عليه، ولا لها علم بكائن فضلا عن مستقبل فتخبر به، ولا في الناس من يعلم منطق الطير، إلا ما كان الله تعال خص به سليمان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك، فالتحق التطير بجملة الباطل.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليس منا من تحلم (تحلم: إذا ادعى الرؤيا كاذبا). أو تكهن أو رده عن سفره تطير).رواه البزار

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من رجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك). قيل: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال: (أن يقول أحدهم اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضي لحاجته). رواه البزار

وفي خبر آخر: (إذا وجد ذلك أحدكم فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا بك). سنن ابى داود، ثم يذهب متوكلا على الله، فإن الله يكفيه ما وجد في نفسه من ذلك، وكفاه الله تعالى ما يهمه.

(واخيرا)مَن استمسك بعروةِ التوحيد الوُثقى واعتصم بحبل الله المتين وتوكَّل على الله جلّ وعلا قطعَ هاجِس الطّيَرة قبل استقرارِها، وبادَر خواطرَها من قبل استكمالها، قال عكرمة: كنّا جلوسًا عند ابنِ عبّاس رضي الله عنهما فمرَّ طائر يصيح، فقال رجل من القول: خيرٌ، فقال له ابن عبّاس: (لا خيرَ ولا شرّ)، فبادَره رضي الله عنه بالإنكارِ عليه لئلاّ يعتقد تأثيرَه في الخير أو الشرّ. وخرج طاوس رحمَه الله مع صاحبٍ له في سفر، فصاح غرابٌ فقال الرّجل: خيرٌ، فقال طاوس: "أيّ خيرٍ عند هذا؟! لا تصحبني".

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(26)

ليس من الغيبة

ليس من الغيبة ذكر الفاسق المعلن به المجاهر، فإن في الخبر: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له [. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس". رواه الطبراني،فالغيبة إذا في المرء الذي يستر نفسه. وروي عن الحسن أنه قال: ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى، والفاسق المعلن، والامام الجائر. وقال الحسن لما مات الحجاج: اللهم أنت أمته فاقطع عنا سنته- وفي رواية شينه- فإنه أتانا أخيفش أعيمش، يمد بيد قصيرة البنان، والله ما عرق فيها غبار في سبيل الله، يرجل جمته ويخطر في مشيته، ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلاة. لا من الله يتقي، ولا من الناس يستحي، فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون، لا يقول له قائل: الصلاة أيها الرجل. ثم يقول الحسن: هيهات! حال دون ذلك السيف والسوط.

وروى الربيع بن صبيح عن الحسن قال: ليس لأهل البدع غيبة. وكذلك قولك للقاضي تستعين به على أخذ حقك ممن ظلمك فتقول: فلان ظلمني أو غضبني أو خانني أو ضربني أو قذفني أو أساء إلي، ليس بغيبة. وعلماء الامة على ذلك مجمعة. وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك:" لصاحب الحق مقال" رواه البخارى وقال:" مطل الغني ظلم وقال:" لي الواجد (الواجد: القادر على قضاء دينه) يحل عرضه وعقوبته ".

ومن ذلك الاستفتاء، كقول هند للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، فآخذ من غير علمه؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"نعم فخذي ". فذكرته بالشح والظلم لها ولولدها، ولم يرها مغتابة، لأنه لم يغير عليها، بل أجابها عليه الصلاة والسلام بالفتيا لها. وكذلك إذا كان في ذكره بالسوء فائدة، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه (لا يضع عصاه" أي أنه ضراب للنساء. وقيل: هو كناية عن كثرة أسفاره، لان المسافر يحمل عصاه في سفره.)فهذا جائز، وكان مقصوده ألا تغتر فاطمة بنت قيس بهما.

(وأخيرا)فإن الغيبة . تباح لغرضٍ صحيح شرعيّ، لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستةُ أسباب، منها المتظلّم للسلطان أو للقاضي أو ممن له قدرةٌ على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا، وكذلك الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، ويكون المقصود التوصل إلى إزالة المنكر. ومن الأمور التي تباح فيها الغيبة الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي أو أخي أو زوجي أو فلان بكذا، ومنها تحذير المسلمين من الشر ونصحهم، كجرح المجروحين من الرواة والشهود والمشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته، أو التحذير من مبتدع أو من فاسق مجاهر بفسقه. ومن الأمور التي تباح فيه الغيبة التعريف كأن لا يعرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنسان إلا بلقبه كالأعمش والأعرج والأعمى والأحول، ويحرم إطلاقُه على وجه النقص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

** ** **

(27)

خطورة الحسد

الحسد مذموم وصاحبه مغموم وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، رواه أنس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. سنن أبي داود وقال الحسن: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد، نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد. وقال عبد الله ابن مسعود: لا تعادوا نعم الله. قيل له: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، يقول الله تعالى في بعض الكتب: الحسود عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي. فالحسد ليس من أخلاق أهل الإيمان، ولكنه من أخلاق اليهود، فعلى المسلم أن يترفع عنه، إنه مغروس في النفوس، ولكن المسلم يدافعه بالرضا عن الله، والاعتقاد الجازم أن الله حكيم عليم في عطائه ومنعه، وأنه حكيم عليم في قسم أرزاق عباده، فجعل منهم الغني والفقير ومن دون ذلك، والعالم والجاهل ومن دون ذلك، والتابع والمتبوع إلى غير ذلك من قسمته العادلة بين خلقه إن عدو الله إبليس قد يوغر صدرك، ويلقي عليك الشبهات، ويزين لك كراهية النعمة لأخيك المسلم، فاحذر مكائد عدو الله، وكلما رأيت نعمة من الله على عبدٍ من عبيده فاسأل الله من فضله وكرمه، اسأل الله من فضله وكرمه، وإياك أن تحسد أخاك المسلم على نعمة تفضل الله بها عليه، إياك أن تحسده، وإياك أن تكره وصول الخير إليه، لا بل أحب له الخير كما تحب لنفسك، ونبينا يقول لنا: "لا تحاسدوا"رواه مسلم، أي لا يحسد بعضكم بعضاً؛ فإن الحسد بغي، وظلم، وعدوان، والحاسد لم يرض بقسم الله، هو متهم الله في قسمه، وربك حكيم عليم.

ولمنصور الفقيه:

ألا قل لمن ظل لي حاسدا = أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في حكمه = إذا أنت لم ترض لي ما وهب

ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض، فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل. ولابي العتاهية في الناس:

فيا رب إن الناس لا ينصفونني = فكيف ولو أنصفتهم ظلموني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن كان لي شيء تصدوا لأخذه = وإن شئت أبغي شيئهم منعوني

وإن نالهم بذلي فلا شكر عندهم = وإن أنا لم أبذل لهم شتموني

وإن طرقتني نكبة فكهوا بها = وإن صحبتني نعمة حسدوني

سأمنع قلبي أن يحن إليهمو = وأحجب عنهم ناظري وجفوني

وقيل: إذا سرك أن تسلم من الحاسد فغم عليه أمرك. ولرجل من قريش:

حسدوا النعمة لما ظهرت = فرموها بأباطيل الكلم

وإذا ما الله أسدى نعمة = لم يضرها قول أعداء النعم

ولقد أحسن من قال:

اصبر على حسد الحسو = د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها = إن لم تجد ما تأكله

وقال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى:"رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ". فصلت / 29 إنه إنما أراد بالذي من الجن إبليس والذي من الانس قابيل، وذلك أن إبليس كان أول من سن الكفر، وقابيل كان أول من سن القتل، وإنما كان أصل ذلك كله الحسد.

وقال الشاعر:

إن الغراب وكان يمشي مشية = فيما مضى من سالف الأحوال

حسد القطاة فرام يمشي مشيها = فأصابه ضرب من التعقال

وواجب الحاسد أن يتوب إلى الله وأن يراجع حسابه مع الله، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يحسن إلى المحسود، وأن يهدي له، وأن يدعو له، وأن يعلم أنه ارتكب خطيئة ما بعدها خطيئة.

** ** **

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(28)

حقيقة النفاق

النفاق إذا كان في القلب فهو الكفر. فأما إذا كان في الأعمال فهو معصية. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر" رواه البخاري.

واختلف الناس في تأويل هذا الحديث، فقالت طائفة: إنما ذلك لمن يحدث بحديث يعلم أنه كذب، ويعهد عهدا لا يعتقد الوفاء به، وينتظر الأمانة للخيانة فيها. ورد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما خارجين من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهما ثقيلان فقال علي: مالي أراكما ثقيلان؟ قالا حديثا سمعناه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال المنافقين (إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا ائتمن خان وإذا وعد أخلف) فقال علي: أفلا سألتماه؟ فقالا: هبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لكني سأسأله، فدخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، خرج أبو بكر وعمر وهما ثقيلان، ثم ذكر ما قالاه، فقال: (قد حدثتهما ولم أضعه على الوضع الذي وضعاه ولكن المنافق إذا حدث وهو يحدث نفسه أنه يكذب وإذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف وإذا ائتمن وهو يحدث نفسه أنه يخون" رواه الطبراني

قال ابن العربي: قد قام الدليل الواضح على أن متعمد هذه الخصال لا يكون كافرا، وإنما يكون كافرا باعتقاد يعود إلى الجهل بالله وصفاته أو تكذيب له تعالى الله وتقدس عن اعتقاد الجاهلين وعن زيغ الزائغين.

وقالت طائفة: ذلك مخصوص بالمنافقين زمان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وتعلقوا بما رواه مقاتل بن حيان عن سعيد بن جبير عن ابن عمر وابن عباس قالا: أتينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أناس من أصحابه فقلنا: يا رسول الله، إنك قلت (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلي وزعم أنه مؤمن إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ومن كانت فيه خصلة منهن ففيه ثلث النفاق) فظننا أنا لم نسلم منهن أو من بعضهن ولم يسلم منهن كثير من الناس، قال: فضحك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: (مالكم ولهن إنما خصصت بهن المنافقين كما خصهم الله في كتابه أما قولي إذا حدث كذب فذلك قوله عز وجل" إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ..." المنافقون/ 1 الآية- أفأنتم كذلك؟ قلنا: لا. قال: (لا عليكم أنتم من ذلك براء وأما قولي إذا وعد أخلف فذلك فيما أنزل الله علي (وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ)- الآيات الثلاث- (أفأنتم كذلك)؟ قلنا لا، والله لو عاهدنا الله على شي أو فينا به. قال: (لا عليكم أنتم من ذلك براء وأما قولي وإذا اؤتمن خان فذلك فيما أنزل الله علي" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبالِ"الأحزاب/ 72 الآية- (فكل إنسان مؤتمن على دينه فالمؤمن يغتسل من الجنابة

في السر والعلانية والمنافق لا يفعل ذلك إلا في العلانية أفأنتم كذلك (؟ قلنا لا قال:) لا عليكم أنتم من ذلك براء (. وإلى هذا صار كثير من التابعين والأئمة.

قالت طائفة: هذا فيمن كان الغالب عليه هذه الخصال. ويظهر من مذهب البخاري وغيره من أهل العلم أن هذه الخلال الذميمة منافق من اتصف بها إلى يوم القيامة. قال ابن العربي: والذي عندي أنه لو غلبت عليه المعاصي ما كان بها كافرا ما لم يؤثر في الاعتقاد. قال علماؤنا: إن إخوة يوسف عليه السلام عاهدوا أباهم فأخلفوه، وحدثوه فكذبوه، وائتمنهم على يوسف فخانوه وما كانوا منافقين. قال عطاء بن أبي رباح: قد فعل هذه الخلال إخوة يوسف ولم يكونوا منافقين.

وقال الحسن بن أبي الحسن البصري: النفاق نفاقان، نفاق الكذب ونفاق العمل، فأما نفاق الكذب فكان على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما نفاق العمل فلا ينقطع إلى يوم القيامة. وروى البخاري عن حذيفة أن النفاق كان على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الايمان.

** ** **

(29)

إذا جاء القدر عمى البصر

قال أبو مجلز قال ابن عباس لعبد الله بن سلام: أريد أن أسألك عن ثلاث مسائل. قال: أتسألني وأنت تقرأ القرآن؟ قال: نعم ثلاث مرات. قال: لم تفقد سليمان الهدهد دون سائر الطير؟ قال: احتاج إلى الماء ولم يعرف عمقه- أو قال مسافته- وكان الهدهد يعرف ذلك دون سائر الطير فتفقده. وقال في كتاب النقاش: كان الهدهد مهندسا. وروي أن نافع بن الأزرق سمع ابن عباس يذكر شأن الهدهد فقال له: قف يا وقاف كيف يرى الهدهد باطن الأرض وهو لا يرى الفخ حين يقع فيه؟! فقال له ابن عباس: إذا جاء القدر عمي البصر. وقال مجاهد: قيل لابن عباس كيف تفقد الهدهد من الطير؟ فقال: نزل منزلا ولم يدر ما بعد الماء، وكان الهدهد مهتديا إليه، فأراد أن يسأله. قال مجاهد: فقلت كيف يهتدي والصبي يضع له الحبالة فيصيده؟ قال: إذا جاء القدر عمي البصر. قال ابن العربي: ولا يقدر على هذا الجواب إلا عالم القرآن. قلت: هذا الجواب قد قاله الهدهد لسليمان كما تقدم. وأنشدوا:

إذا أراد الله أمرا بامرئ = وكان ذا عقل وراي ونظر

وحيلة يعملها في دفع ما = يأتي به مكروه أسباب القدر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غطى عليه سمعه وعقله = وسله من ذهنه سل الشعر

حتى إذا أنفذ فيه حكمه = رد عليه عقله ليعتبر

فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك. ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر. فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان. وفي الصحيح عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ (سرغ (بسكون الراء وفتحها): قرية بوادي تبوك من طريق الشام.) لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. الحديث، قال علماؤنا: كان هذا الخروج من عمر بعد ما فتح بيت المقدس سنة سبع عشرة على ما ذكره خليفة بن خياط. كان يتفقد أحوال رعيته وأحوال أمرائه بنفسه، فقد دل القرآن والسنة وبينا ما يجب على الامام من تفقد أحوال رعيته، ومباشرة ذلك بنفسه، والسفر إلى ذلك وإن طال. ورحم الله ابن المبارك حيث يقول:

وهل أفسد الدين إلا الملوك = وأحبار سوء ورهبانها

** ** **

(30)

الإيثار

الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنياوية، ورغبة في الحظوظ الدينية. وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة. يقال: آثرته بكذا، أي خصصته به وفضلته. ومفعول الإيثار محذوف، أي يؤثرونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم، لا عن غنى بل مع احتياجهم إليها، حسب ما تقدم بيانه. وفي موطأ مالك:" أنه بلغه عن عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه؟ فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت. قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا: شاة وكفنها، فدعتني عائشة فقالت: كلي من هذا، فهذا خير من قرصك.

قال علماؤنا: هذا من المال الرابح، والفعل الزاكي عند الله تعالى يعجل منه ما يشاء ولا ينقص ذلك مما يدخر عنه. ومن ترك شيئا لله لم يجد فقده. وعائشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين أثنى الله عليهم بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة، وأن من فعل ذلك فقد وقى شح نفسه وأفلح فلاحا لا خسارة بعده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومعنى (شاة وكفنها) فإن العرب- أو بعض العرب أو بعض وجوههم- كان هذا من طعامهم، يأتون إلى الشاة أو الخروف إذا سلخوه غطوه كله بعجين البر وكفنوه به ثم علقوه في التنور، فلا يخرج من ودكه شي إلا في ذلك الكفن، وذلك من طيب الطعام عندهم.

وروى النسائي عن نافع أن ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا، فاشترى له عنقود بدرهم، فجاء مسكين فسأل، فقال: أعطوه إياه، فخالف إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إلى ابن عمر، فجاء المسكين فسأل، فقال: أعطوه إياه، ثم خالف إنسان فاشتراه بدرهم، ثم جاء به إليه، فأراد السائل أن يرجع فمنع. ولو علم ابن عمر أنه ذلك العنقود ما ذاقه، لان ما خرج لله لا يعود فيه. وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا محمد بن مطرف قال: حدثنا أبو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار، فجعلها في صرة ثم قال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلكأ ساعة في البيت حتى تنظر ماذا يصنع بها. فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. فرجع الغلام إلى عمر، فأخبره فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، وقال: اذهب بهذا إلى معاذ بن جبل، وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله، وقال: يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا وبئت فلان بكذا، فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن! والله مساكين فأعطنا. ولم يبق في الخرقة إلا ديناران قد جاء بهما إليها. فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك عمر وقال: إنهم إخوة! بعضهم من بعض. فإن قيل: وردت أخبار صحيحة في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه المرء، قيل له: إنما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر، وخاف أن يتعرض للمسألة إذا فقد ما ينفقه. فأما الأنصار الذين أثنى الله عليهم بالإيثار على أنفسهم، فلم يكونوا بهذه الصفة، بل كانوا كما قال الله تعالى: "وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ"البقرة/ 177. وكان الإيثار فيهم أفضل من الإمساك. والإمساك لمن لا يصبر ويتعرض للمسألة أولى من الإيثار. وروي أن رجلا جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل البيضة من الذهب فقال: هذه صدقة، فرماه بها وقال: (يأتي أحدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد يتكفف الناس).

والإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال وإن عاد إلى النفس. ومن الأمثال السائرة:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ومن عبارات الصوفية الرشيقة في حد المحبة: أنها الإيثار، ألا ترى أن امرأة العزيز لما تناهت في حبها ليوسف عليه السلام، آثرته على نفسها فقالت: أنا راودته عن نفسه. وأفضل الجود بالنفس الجوة على حماية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي الصحيح أن أبا طلحة ترس على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَسَلَّمَ يتطلع ليرى القوم. فيقول له أبو طلحة: لا تشرف يا رسول الله! لا يصيبونك! نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشلت. وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي- ومعي شي من الماء- وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك، فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إلي ابن عمي أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات.

وقال أبو يزيد البسطامي: ما غلبني أحد ما غلبني شاب من أهل بلخ! قدم علينا حاجا فقال لي: يا با يزيد، ما حد الزهد عندكم؟ فقلت: إن وجدنا أكلنا. وإن فقدنا صبرنا.

فقال: هكذا كلاب بلخ عندنا. فقلت: وما حد الزهد عندكم؟ قال: إن فقدنا شكرنا، وإن وجدنا آثرنا. وسيل ذو النون المصري: ما حد الزاهد المنشرح صدره؟ قال ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت. وحكي عن أبي الحسن الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرغفان وأطفئوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئا، إيثارا لصاحبه على نفسه.

** **

(31)

من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه

الواجب على من سئل عن علم أن يقول إن لم يعلم: الله أعلم ولا أدري، اقتداء بالملائكة والأنبياء والفضلاء من العلماء، لكن قد أخبر الصادق أن بموت العلماء يقبض العلم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون. وأما ما ورد من الاخبار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين بعدهم في معنى الآية فروى البستي في المسند الصحيح له عن ابن عمر أن رجلا سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي البقاع شر؟ قال: (لا أدرى حتى أسأل جبريل) فسأل جبريل، فقال: لا أدري حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق. وقال الصديق للجدة: ارجعي حتى أسأل الناس. وكان علي يقول: وأبردها على الكبد، ثلاث مرات. قالوا وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: أن يسأل الرجل عما لا يعلم فيقول: الله أعلم. وسأل ابن عمر رجل عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فلما أدبر الرجل. قال ابن عمر: نعم ما قال ابن عمر، سئل عما لا يعلم فقال لا علم لي به! ذكره الدارمي في مسنده.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي صحيح مسلم عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل قال: كنت جالسا عند القاسم بن عبيد الله ويحيى بن سعيد، فقال يحيى للقاسم: يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك عظيم أن يسأل عن شي من أمر هذا الدين فلا يوجد عندك منه علم ولا فرج، أو علم ولا مخرج؟ فقال له القاسم: وعم ذاك؟ قال: لأنك ابن إمامي هدى: ابن أبي بكر وعمر. قال يقول له القاسم: أقبح من ذاك عند من عقل عن الله أن أقول بغير علم أو آخذ عن غير ثقة. فسكت فما أجابه.

وقال مالك بن أنس: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده لا أدري حتى يكون أصلا في أيديهم، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري. وذكر الهيثم بن جميل قال: شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري. قلت: ومثله كثير عن الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين. وإنما يحمل على ترك ذلك الرياسة وعدم الانصاف في العلم. قال ابن عبد البر: من بركة العلم وآدابه الانصاف فيه، ومن لم ينصف لم يفهم ولم يتفهم. روى يونس بن عبد الأعلى قال سمعت ابن وهب يقول سمعت مالك بن أنس يقول: ما في زماننا شي أقل من الانصاف. قلت: هذا في زمن مالك فكيف في زماننا اليوم الذي عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام! وطلب فيه العلم للرئاسة لا للدراية، بل للظهور في الدنيا وغلبة الاقران بالمراء والجدال الذي يقسي القلب ويورث الضغن، وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخوف من الله تعالى.

أين هذا مما روي عن عمر رضي الله عنه وقد قال: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العصبة- يعني يزيد بن الحصين الحارثي- فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال، فقامت امرأة من صوب النساء طويلة فيها فطس (الفطس (بالتحريك): انخفاض قصبة الأنف وتطامنها وانتشارها.) فقالت: ما ذلك لك! قال: ولم؟ قالت لان الله عز وجل يقول:" وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً" النساء/ 20 فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ!

وروى وكيع عن أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل عليا رضي الله عنه عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي: أصبت وأخطأت، وفوق كل ذي علم عليم. وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأحسن:

إذا ما تحدثت في مجلس = تناهى حديثي إلى ما علمت

ولم أعد علمي إلى غيره = وكان إذا ما تناهى سكت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

(1) 3
المسلمون وبيوت الله 3
(2) 5
هكذا ينبغي ان تكون الصلاة 5
(3) 7
من فقه الدعاء 7
(4) 9
ليكن مفزعك إلى الله تعالى يكفيك 9
(5) 10
حولها ندندن 10
(6) 11
ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم 11
(7) 12
معى واحد أم سبعة أمعاء 12
(8) 13
علاج القلوب 13
(9) 14
قدم لنفسك خيرا 14
(10) 16
ثمرة التوكل 16
(11) 17
عبادة التفكر 17
(12) 19
لتسألن عن هذا يوم القيامة 19
(13) 20
أحييتني أحياك الله 20

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(14) 21
هواك داؤك فإن خالفته فدواؤك 21
(15) 23
بادر بالمعروف 23
(16) 24
فى القرض إلى الله 24
(17) 26
ولا تجسسوا 26
(18) 27
مكارم الأخلاق 27
(19) 29
فضيلة العلم 29
(20) 31
أخف الناس عذابا 31
(21) 33
أعظم المصائب 33
(22) 35
معنى التهلكة 35
(23) 37
احذر المنجمين والكهان 37
(24) 38
البدعة والمبتدعون 38
(25) 40
التطير 40
(26) 42
ليس من الغيبة 42
(27) 43

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطورة الحسد 43
(28) 45
حقيقة النفاق 45
(29) 46
إذا جاء القدر عمى البصر 46
(30) 47
الإيثار 47
(31) 49
من بركة العلم وآدابه الإنصاف فيه 49